شَجَرَةُ
الأَنبِيَاءِ
- ١٦ -

سُلَيْمَانُ عَلَيهِ السَّلامُ

النبي الملك

منصور الرفاعى عبيد   د/ إسماعيل عبد الفتاح   رزق السيد هيبة

رسم صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٥ منصور الرفاعى عبيد.

م ن س ل سليمان عليه السلام: النبى الملك/ منصور الرفاعى عبيد، إسماعيل عبد الفتاح، رزق السيد هيبة؛ رسم صفوت قاسم.- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.

٣٢ ص : إيض؛ ٢٤ سم. - ([سلسلة] شجرة الأنبياء؛١٦)

تدمك : ٧ - ١١٥٣ - ١٠ - ٩٧٧.

١ - قصص الأنبياء. أ - إسماعيل عبد الفتاح، مؤلف مشارك. ب- رزق السيد هيبة، مؤلف مشارك. جـ- صفوت قاسم، رسام. د- العنوان. هـ- السلسلة.

صف كمبيوتر عادل أحمد العزب

رقم الإيداع	٩٦٤٨ / ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

عشْنَا في القصَّة السَّابقَة مَعَ دَاود عَليه السَّلامُ، النَّبيِّ الأوَاب. وَفي هَذه القَصَّة يَمتدُّ بنَا الحديثُ إلَى سيرَة ابنه سُليمانَ عليه السَّلامُ، النَّبي المبَارَكَ، وَالملك الموفَّق، فَهوَ مُبارَكٌ؛ لأنَّ اللهَ بَاركَ عليْه في دينه وعلْمه، فَأعطَاهُ العلمَ الغَزيرَ، والحكمةَ العَاليةَ، مُنذُ صغَره، وَمَنْ يُؤتَ الحكمَةَ فَقدْ أُوتي خَيرًا كَثيرًا.

أمَّا أنَّهُ مَلكٌ مَوفَّقٌ؛ فَلأنَّ اللهَ أعطَاهُ مُلكًا لَمْ يُعطه أحدًا منَ العَالمينَ، مُلكًا عَلَى الأرض، وَعلَى الهَواء والسَّحاب، وَعلَى الطُّيور والحيوَانات، مُلكًا شَاملاً كاملاً، يَحكُمهُ بالعَدل والحكمَة.

وعندَمَا تَجتمعُ النُّبوَّةُ والحكمَةُ مَعَ الملْك والسُّلطان، يكَونُ الحكْمُ بالعَدْل وبالإحسَان، وتكونُ الرِّسَالةُ هَاديةً إلَى الإيمَانَ بالله الوَاحد الأحد، وعدَم الشِّرْك به.

وقصَّةُ سُليمانَ بن دَاودَ عَليهمَا السَّلامُ قصَّةٌ مُشوِّقَةٌ، عَظيمَةُ الأثر، تُعطي دلالات غنيةً، وَإشارَات ذَاتَ مَغزَى؛ لأنهَا تؤصِّلُ في الإنسَان حُبَّ العلم، وَفي الوَقت نَفسه، حُبَّ الحيَاة، مَعَ التَّمسُّك بالقيَم النَبيلة، وَالأخلاَق الحسَنَة.

إنَّ نعَمَ الله سُبحَانهُ وتعَالَى، نعمٌ جَليلةٌ، لاَ يَستطيعُ الإنسَانُ حَصرَهَا، وصَدَقَ اللهُ العظيمُ إذْ يقُولُ: ﴿**وإن تعدُّوا نعمت الله لا تحصُوها**﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وَهذه النِّعمُ تَستَوجبُ الشكرَ لله عَزَّ وجَلَّ، ومَنْ يَشكر اللهَ يزدْهُ منْ فَضله، وَصدَق اللهُ العظيمُ إذ يقُولُ: ﴿**لئن شكرتُمْ لأزيدنَّكُم**﴾ [إبراهيم: ٧]، فَتتكَاثَرُ الخيْراتُ والنِّعمُ بفَضْل الله، المنعم الَّذي لاَ يَأتي بكُلِّ خَيرٍ سوَاهُ.

نَسَبُهُ وصِفَتُهُ

هُو سُلَيمَانُ بنُ دَاوُدَ عَلَيهِمَا السَّلامُ، أَحدُ أَنبِيَاء بَنى إسْرَائيلَ، المذكُورين فى القُرآن الكَريم، كَانَ كثيفَ الشَّعرِ، يَلبسُ الثيابَ النَّاصعةَ البَياضِ، أَعطاهُ اللهُ الحكمَةَ، فَجرَتْ عَلَى لسَانه قَولاً سَديدًا، ونُطْقًا فَصيحًا، وعلمًا غَزيرًا، وأُسوةً صَالحةً فى القَوْلِ والعَملِ.

كَانَ أَبوهُ يُشَاوِرُهُ فى كَثيرٍ من الأُمورِ، ولهُ فى ذَلكَ قِصصٌ تَدلُّ عَلَى سَدَادِ الرأى، وصَوابِ الحكْمِ.

اعْتلى عرشَ أبيه دَاودَ بعدَ وَفاته، فأصبحَ مَلكًا، وكَانَ مُلكُهُ واسعًا، إذ تملّكَ على المشْرقِ والمغربِ، والشَّمَالِ والجنُوبِ، وفى الوَقت نفسه لَمْ يكنْ مُلكَ تَجبرٍ وطُغيان، ولكنَّه كَانَ مُلكًا مُسخَّرًا لعبَادةِ الله عزَّ وجلَّ، والدَّعوةِ إلَى اتباعِ الصِّراطِ المسْتَقيمِ.

ولَمْ تكنْ دَعوتُـهُ وَقفًا عَلَى الإنسِ فَـقطْ، ولكنَّها امْـتدَّتْ إلَى الجنِّ أيضًا، الذينَ سَخَّرَهُمُ اللهُ سبحَانَهُ وتَعَالَى لخدمَته، وجعلَهمْ طَوْعَ أَمرِه، يفعلُونَ لَهُ ما يشَاءُ، وينْفّذون مَا يُريدُ.

نِعمَةُ اللهِ على سُليمانَ

أنعَم اللهُ عَلَى سُليمَانَ بكَثيرٍ مِنَ النّعمِ ذَاتِ المزَايَا الفَريدَةِ، الَّتى لَمْ يَنلْها إنسَانٌ قبلَهُ ولاَ بعْدَه، منْهَا:

الذَّكاءُ والحكْمةُ والعلمُ، فَقدْ منَحهُ ربُّه ذَكاءً خَارقًا، وحُكمًا صَائبًا، وأَعطَاهُ علمًا نَافعًا، كُلُّ ذَلكَ وهُوَ لاَ يزَالُ صَبيًّا لَم يَصلْ إلَى سنِّ الشُّيوخِ بَعدُ. فَاستَغلَّ تلكَ النّعمَ فى الدَّعـوةِ إلَى عبادة الله عزَّ وجلَّ، وتَوحيده، ونُصح قَومه، وإرشَادِهمْ إلَى وُجُوبِ التَّوبةِ والعَودَةِ إلَى اللهِ لكَىْ يَكُونُوا منَ الفَائزينَ.



وَمِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى سُلَيْمَانَ، أَنْ عَلَّمَهُ مَنطقَ الطَّيرِ، وَلغَةَ جَميعِ الحيَوانات والدَّوابِّ والحشَرات، وَلا شَكَّ أنَّ معرفَةَ لغَةِ الطُّيور والحيَوانات، تَعنى الاطِّلاعَ عَلَى أَسرارِ الكَوْنِ كُلِّه، وهَذه هبةٌ عَظيمَةٌ من اللهِ يَختصُّ بهَا مَنْ يشْكُرُه.

يقولُ اللهُ تعالَى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ** ﴾

[النمل: ١٥، ١٦].

وَلَمْ تَقفْ نعمُ اللهِ عَلَى سُليمَانَ عندَ هَذَا الحدِّ، بَلْ كَانَ منهَا أيضًا تَسخيرُ الرياحِ لَهُ، يَأمرُها فتَأتمرُ، وتَنفِّذُ الأمرَ عَلَى الفور، وكَانَ سُليمانُ عَليه السَّلامُ يَستعينُ بالرِّياحِ فِى غَزواته البَعيدَة، فَيركَبُ هُوَ وَجُنودُهُ عَلَى البسَاط، ويأمرُ الرياحَ فَتحملهُ إلَى الجهَةِ الَّتى يُريدُهَا، وَتلكَ مُعجزَةٌ كُبرَى، لَمْ تَحدُثْ لنبىٍّ غَيره، فكَانَت الرِّياحُ تَنقلُهُ منْ مكَانٍ إلَى مكَان، وَتسيرُ به فى يَوْمٍ واحد المسافَةَ الَّتى يَقطعُهَا المسَافرونَ بالإبلِ فى شَهرٍ كَاملٍ، فكَانَ سُليمَانُ وَجنودُهُ يُمضُونَ القَيلُولَة، التى هِىَ وَقتُ الظُّهر، فِى إصطَخْرَ بالعرَاق، ويَبيتُونَ فى خُراسَانَ ببلاد فَارسَ مُتوجِّهين صَباحًا منْ بيتِ المقْدسِ وَهِىَ مَسافَاتٌ تُقدرُ بآلاف الكيلُو مترات.

ذكَرَ الطَّبرىُّ فى تَفْسيره أَنهُمْ وَجدُوا مَنزلاً بنَاحية دجلَة فى العرَاق، مكتوبًا عَليه نُقوشٌ كَتبهَا بَعضُ أصحَاب سُليمَانَ عَليهِ السَّلامُ، يَقولُ: «نَحنُ نَزلنَاهُ، ومَا بنَيناه، ومبنيًّا وَجدْناهُ، غَدونَا منْ إصطخرَ فَقلْنَاه، ونَحنُ رَائحونَ منهُ إنْ شاءَ اللهُ فَبائتونَ فى الشَّام».

وَمِنْ نعم الله عَلَى سُليمَانَ أَنْ أعطَاهُ اللهُ الخَيلَ الموصُوفةَ فى القُرآن الكَريم بوَصْف «الصَّافِنَات الجَياد»، إذْ كَانَ عَليه السَّلامُ يُحبُّ الخَيْلَ لِمَا فيهَا منَ البركَة، وَقُدرة عَلَى الحرْب، ومُواجَهة الكُفَّار والانتصَار عَليهِم.

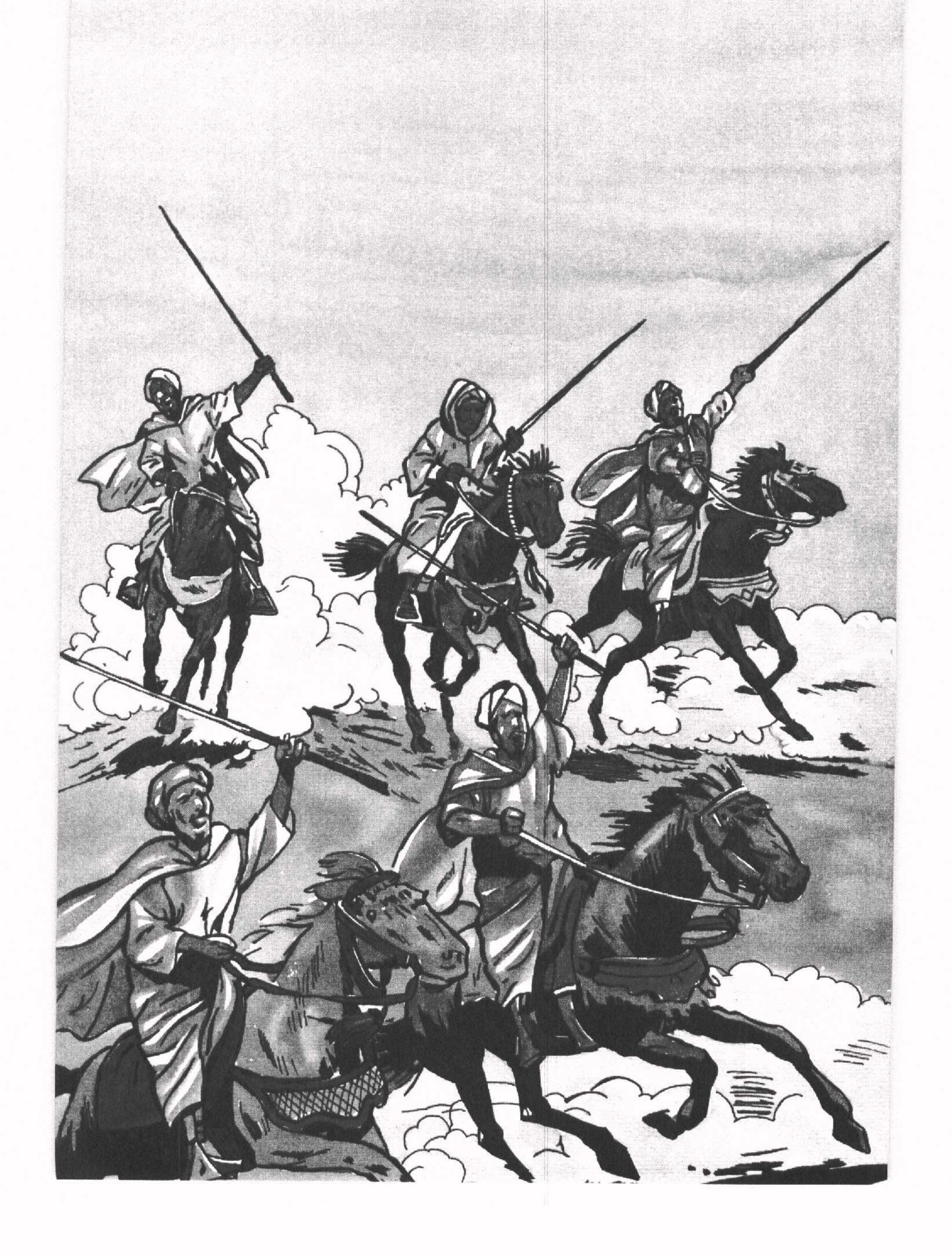
يَقولُ العُلَماءُ أنَّ سُليمَانَ احْتَاجَ يومًا إلَى الغَزْو، فَأمَرَ بإحْضَار الخَيل، وتَجهيزهَا، وإعدادهَا للغَزْو، وأعلنَ أنهُ لاَ يُحبُّهَا لأمر الدُّنيَا وَغرُور النفْس، فَهوَ يركَبُهَا فِى سَبيل الله، وَطلبًا لانتشَار دينه، وأُعدَّت الخَيْلُ كَمَا أرادَ، وسَارتْ حَتَّى توارتْ عَنْ بَصره بحجَاب بسَبَب مَا تثيرُهُ منْ غُبَار وتُراب، ثمَّ أمرَ رَاكبيهَا بالعَودة، (فيمَا يُسَمَّى اليومَ بالمنَاورة العسْكَرية التدريبيَّة) ليعرفَ مَا إذَا كَانتْ هَذه الجيَادُ جَاهزةً للحرْب أمْ لاَ. فَلمَّا عَادت الخَيْلُ أخذَ سُليمَانُ يَمسَحُ سيقَانهَا وأعناقهَا تَشريفًا لهَا، وإعلانًا لعزَّتهَا لكونْهَا منْ أعظمِ العَوْن لدفْع العَدُوِّ، كَمَا أنهُ كَانَ عَلَى علْم بأحْوال الخَيْل وَأمرَاضهَا وعيُوبهَا، فَكانَ يَختبرُ جَسدَهَا، ويمْسح سُوقَها وأعناقَهَا حَتَّى يَرَى هَلْ فيهَا مَا يدلُّ عَلَى مَرض أوْ عَيب منَ العُيوب، كَمَا كَانَ عَلَى علْم بلُغة الخَيل، فَكَانَ يَسألُهَا عَنْ أحْوالِهَا وأمرَاضهَا وَأوجَاعهَا فَتحْكى لَهُ الجيَادُ مَا بهَا.

يَقولُ اللهُ سبحَانَهُ وتعَالَى: ﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ** ﴾ [ص: ٣٠ - ٣٣].

ابتلاءُ اللهِ لسليمانَ

يُحكَى أنَّ سليمانَ عليه السَّلامُ كانَ يحكُمُ الأرضَ كُلَّهَا، فسمعَ عَنْ ملكٍ يملكُ جزيرةً اسمُهَا «صيدُونُ» فِي البحرِ، فخرجَ إليهِ بجُنودِه تحملُهم الرِّياحُ إلى الجزيرةِ، فدعَاهُ سُليمانُ إلى أنْ يؤمنَ باللهِ الواحدِ القهَّارِ، فأبَى أنْ يستجيبَ لدعوةِ الإيمانِ، فحاربَهُ سُليمانُ، وقتلَهُ وقتلَ كثيرًا من قومِهِ، وكانَ لهذا الملكِ ابنةٌ اسمُهَا جرادةُ من أجملِ النِّساءِ وأحسنِهنَّ وجهًا، فأخذهَا سُليمانُ زوجةً لهُ، وأسلمَتْ، ولكنَّهَا لَمْ تَنسَ أباهَا الملكَ، وكانتْ كثيرةَ البُكاءِ عليه، فقالَ لهَا سُليمانُ: لقد اصطفاكِ اللهُ، وزوَّجكِ نبيًّا ملكًا، لهُ مُلكُ الأرضِ كُلِّهَا، لا مُلكُ جزيرةٍ، وسطَ البحرِ كجزيرةِ أبيكِ، ورزقكِ الإيمانَ والإسلامَ، وهوَ أعظمُ نعمةٍ يمنُّ اللهُ بهَا علَى عبادِه، فلماذا البُكاءُ والنَّحيبُ الَّذِي لَنْ يُعيدَ مَا فاتَ؟

فسكتَتِ الفتاةُ، ولكنَّهَا لا تزالُ تتذكَّرُ أباهَا المقتُولَ، فطلبتْ من وصيفاتِهَا أنْ يصْنَعنَ تمثالًا لأبيهَا، فصنعُوهُ، وعكفتْ علَى عبادتِه أربعينَ يومًا، ولَمْ يعرفْ سُليمانُ شيئًا عنْ ذلكَ طيلةَ هذه المدَّةِ، وبعدَ الأربعينَ يومًا واجههُ رجلٌ صالحٌ من أهلِ بيتِه بسؤالٍ، قالَ لهُ: كيفَ تسمحُ بأنْ تُعبدَ الأصنامُ فِي بيتِكَ؟ ففزعَ سُليمانُ لهذا السُّؤالِ، ودخلَ البيتَ فوجدَ



التِّمثالَ منصُوبًا فَحطَّمهُ، واستغفرَ اللهَ وتَابَ إليهِ، تَوبةً خَالصَةً لوجْههِ الكَريمِ، فابتلاهُ اللهُ، فأقصاهُ عَنْ كُرسي عَرشهِ، وأنساهُ خَاتمهُ مُدةَ أربعينَ يوْمًا، وهِيَ تُعادلُ مُدةَ عبادَةِ زَوجتِهِ للصَّنمِ في بَيتهِ، فكَانَ سُليمانُ يهيمُ عَلَى وَجْههِ في الأرضِ يَستغْفرُ اللهَ، ويَتوددُ إليهِ ويُسبِّحُهُ، وكَانَ اللهُ قَدْ ألقَى عَلَى كُرسيِّهِ شَبيهًا لَهُ، فَلمْ يتمكَّنْ مِنَ الحكمِ طوَالَ هَذه المدةِ، ثُمَّ عفَا اللهُ عَنْهُ، ونَالَ خَاتِمهُ مِنْ جَديدٍ، وَرجعَ إلَى كُرسيِّهِ بأمرِ اللهِ تعَالَى ورَحمتهِ وعفوهِ.

وَفي ذَلكَ يَقولُ اللهُ تعَالَى: ﴿ ولَقَدْ فتنَّا سُليْمَانَ وأَلْقَيْنا علَىٰ كُرْسيِّه جسَدًا ثُمَّ أنابَ ﴿٣٤﴾ قالَ ربِّ اغْفرْ لي وهَبْ لي مُلْكًا لاَّ ينْبغي لأحدٍ منْ بعْدي إنَّكَ أنتَ الْوهَّابُ ﴿٣٥﴾ فسخَّرْنا لهُ الرِّيحَ تجْري بأمْره رُخاءً حيْثُ أصابَ ﴿٣٦﴾ والشَّياطينَ كُلَّ بنَّاءٍ وغوَّاصٍ ﴾ [ص: ٣٤ - ٣٧].

سُليمانُ ينسَى مشيئةَ اللهِ

يُقالُ أنَّ سُليمَانَ عليهِ السَّلامُ، اغْترَّ يومًا بقوَّتهِ، ونَسيَ ذكرَ اللهِ والبدءَ بمشيئتهِ، فقَالَ لمنَ حَولَهُ: لأطوفَنَّ الليْلةَ علَى سَبعينَ منْ زوْجاتي، فلتكُنْ هَذه اللَّيلةُ ليلَةَ حَملهِنَّ جَميعًا، فتَأتي كُلُّ واحدَةٍ منهُنَّ بفَارسٍ يُجاهدُ في سَبيلِ اللهِ، ونَسيَ ذكرَ المشيئَةِ الإلهيَّةِ، ولَمْ يَقلْ إنْ



شَاءَ اللهُ تعَالَى، فَأرادَ اللهُ سُبحانَهُ وتعَالَى أنْ يُعلِّمهُ درسًا لايَنساهُ فِى حَياته أبدًا فَأعطَاهُ القُوَّةَ عَلَى الطَّواف بسَبْعينَ مِنْ زَوجَاته، وطَافَ عَليهنَّ فعْلاً، ولَكنْ إرادةُ الله فِى جَعله آيةً كَانتْ قَويةً فَلمْ تَحمِلْ أىٌّ منُهنَّ، إلاَّ واحدَةً فَقطْ، حَملتْ وأنْجبتْ نصْفَ رَجلٍ، فكَانتْ إرادةُ الله واضحَةً جَليَّةً لِمنْ يَنسَى المشيئَةَ الإلهيةَ. وفِى ذَلكَ ينقلُ لَنَا البُخَارِىُّ حَديثًا عَنْ رَسول الله ﷺ يَقولُ: «**إنَّ سُليمانَ عليه السَّلامُ قَالَ: لأَطوفَنَّ الليْلَةَ عَلَى سَبعينَ امرَأةً تَأتى كُلُّ واحدَة منهُنَّ بفارس يُجاهدُ فى سَبيل الله، ولَمْ يَقلْ: إنْ شَاءَ اللهُ، فطَافَ عَليهنَّ فلمْ تَحملْ إلا امْرَأةٌ واحدَةٌ، جَاءتْ بشقِّ رَجُلٍ، والَذى نَفْسى بيدَه، لَوْ قَالَ إنْ شَاءَ اللهُ لجَاهَدُوا فِى سَبيلِ الله فُرسَانًا أجْمعينَ**».

وسُبحانَ الله، لَهُ فِى خَلْقه شُئونٌ، ومَشيئَتُهُ تَعلُو عَلَى كُلِّ شَىءٍ.

الجِنُّ والشَّياطينُ مُسَخَّرُونَ لَهُ

كَانَ مِنْ نِعمِ الله الظَّاهرة عَلَى سُليمَانَ عَليه السَّلامُ، أنْ سَخَّرَ الشَّياطَين لَهُ، يفْعَلونَ مَا يُريدُ، ويعمَلونَ بينَ يَديه بإذْن رَبه. وبذلكَ اكْتَملَ مُلكهُ عَليه السَّلامُ، فكَانَ يحْكُمُ الأَرضَ والإنسَانَ والطَّيرَ والحيوَانَ، وَسخَّرَ اللهُ لَهُ الرِّيحَ، والجنَّ أيضًا، فكَانَت الشَّياطينُ مُسخَّرةً لخدْمته، وتَنفيذ أوامره، فَكَانَ يَطلبُ منهمْ بناءَ المحَاريب، وَصناعَةَ القُدور، وكُلَّ الأعمَالِ التى يَحتاجُهَا وتحتَاجُهَا دولتُهُ، فَأقَامُوا لَهُ المبَانِى الضَّخمَةَ،

والعمائرَ الكَبيرةَ، وبُيوتَ العـبادة، وأسوارَ المدن، وغيرَ ذلكَ منَ المخازن والصَّوامعِ الضَّـخْمة، بـالإضافَة إلَى بناء هيكَلِ سُليـمانَ الفـخْمِ الضَّخْمِ الرائع، الذى ما تزَالُ بقايَاهُ مَوجودةً حـتَّى اليوم، ويُقالُ أنهُمْ بنوا المسْجد الأقـصَى ثانىَ بيُوت الله فى الأرضِ بَعـدَ المسْجـد الحرَام، بأمـر منَ الله سُبحَانهُ وتعالَى إلَى سُليمانَ عليه السَّلامُ.

ولَمْ يكُنْ تَسخيـرُ الجنِّ والشَّياطينِ لسُليمَانَ عليه السَّـلامُ وَقفًا علَى خدمتـه هُو شَخْصيًّا، بَلْ كَانَ هَذَا التَّـسخيرُ لخدْمة النَّاس عَـامَّة، إذْ كَانَ سُليمَانُ يُكلِّفهُمْ بحفرِ الأنهارِ، وتَعبيدِ الطُّرق؛ ليسهُلَ عَلى النَّاس الانتقالُ منْ مَـدينة إلَى أُخرَى، وينتـفعُـوا بالماء الَّذى يَجرى فى الأنهـار. وهكَذَا استَغلَّ هَذَا النَّبىُّ الكَريمُ نعمَ الله عَلـيه الاستغْلالَ الأمثلَ لخدمـة البَشريَّة كُلِّهَا.

يَقولُ اللهُ تَعالَى فى كتابه: ﴿ ولسُليْمان الرِيح غُدُوُها شهرٌ ورواحُها شهرٌ وأسلْنا لهُ عيْن القطْرِ ومن الْجنّ من يعْملُ بيْن يديْه بإذْن ربه ومن يزغْ منْهُم عنْ أمرنا نُذقْهُ منْ عذاب السّعير (١٢) يعْمَلُون لهُ ما يشاءُ من مَحاريب وتماثيل وجفان كالْجواب وقُدُورٍ رَاسيات ﴾ [سـبأ: ١٢ - ١٣]. كَـمَـا قَالَ جَلَّ شَـأْنُهُ: ﴿ وحُشر لسُلَيْمان جُنُودُهُ من الْجنّ والإنس والطّيْر فهُمْ يُوزعُون ﴾

[النمل: ١٧].

وَلْنتأمَّلْ هذه النِّعمة الَّتى أنعمهَـا اللهُ علَى سُليمَانَ بتسْخير الجنِّ لَهُ، فالمعْروفُ عَن الجنِّ أنهُمْ أعداءُ البَـشرية مُنذُ خلق اللهُ آدمَ، يُحاولُون بكلِّ قُوتهِمْ إغواءَ بَنى آدم بالمعْصية والبُعد عَنْ عبادَة الله عَزَّ وجَلَّ؛ ليكُونُوا فى ذلكَ مثل أبناء إبليسَ وحَـفدتَه، مَصيرُهم إلَى النَّار، لأنَّ الـشُّغلَ الشَّاغلَ للشَّياطين والجَانِّ هُوَ فتنةُ البشر عَن الإيمَان بالله عَزَّ وجَلَّ، فكَانتْ آيةُ الله الوَاضحةُ الجليلَةُ هىَ تَسخيرُ الجنِّ فترةً منَ الزَّمن لخدْمة البشَر؛ ليؤكِّدَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لكُلِّ العقُـول والألبَاب، وكأنهُ يقُولُ لذوى الأبصَـار والبَصائر: إنَّنى أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنَا، مُلكى واسعٌ يشمَلُ كُلَّ شَىْء، وليس مَعْنَى أنِّى تركتُ إبليسَ وجُنودَهُ يتربَّصونَ للبشَـريَّة أنهُمْ أصبحُوا ذوى شأن، بَلْ هُمْ مُسخَّـرونَ بأمْرى وقُدْرتى لفتْنة ضعَاف الإيمَـان، وهَأنذا الواحدُ الأَحَدُ، الفردُ الصَّـمدُ، الخَالقُ القَادرُ، أُسـخِّرُ كُلَّ هؤلاء الجنِّ وَالشيَاطين لخـدْمة الإنسَان، وأجعَلُهمْ طوعَ أمر سُليمَانَ.

فيالَها منْ آية واضحة جلية، فيهَا العظَةُ والعبْرةُ لمنْ كَانَ له قَلْبٌ، أوْ ألقَى السَّمعَ وَهوَ شَهيدٌ.

بلقيس تسلم لله رب العالمين

انتشَرَ مُلكُ سُليمَـانَ شرقًا وغَربًا، حَتَّى اعتَقـدَ أنَّ دعوتَهُ قَدْ عَمَّت الأرضَ كُلَّها، وأظلَّتْ جَميعَ أرجَائها، ولَمْ يعدْ هُناكَ كَافرٌ ولا مُلحدٌ ولا مُشركٌ.

فَقدْ حَارَب رُءوسَ الكُـفْرِ وهَزَمَهمْ فِى كُلِّ مَكَانٍ، وَأعْطَاهُ اللهُ مُلكَ الأرْضِ كُلِّهَا بِمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وأَنهارٍ، وحَيوانَاتٍ وَأطيارٍ، وسخَّرَ لَهُ الجنَّ والرِّيحَ، ولَكِنْ أرادَ اللهُ أنْ يُعطِى سُليمَانَ آيةً عَنْ طَرِيقِ مَـخلوقٍ ضَعِيفٍ صَغِيرٍ، هُوَ وَاحدٌ مِنَ الطُّيورِ المسَخَّرَةِ لِسُليمَانَ.

وكَـانَ هَذَا الطَّائِرُ هُوَ: الهُـدْهُدُ. وَلِذلكَ قِـصَّـةٌ وردتْ فِى القُـرآنِ الكَرِيمِ، وفسَّرهَا المفسِّرونَ، قَالُوا:

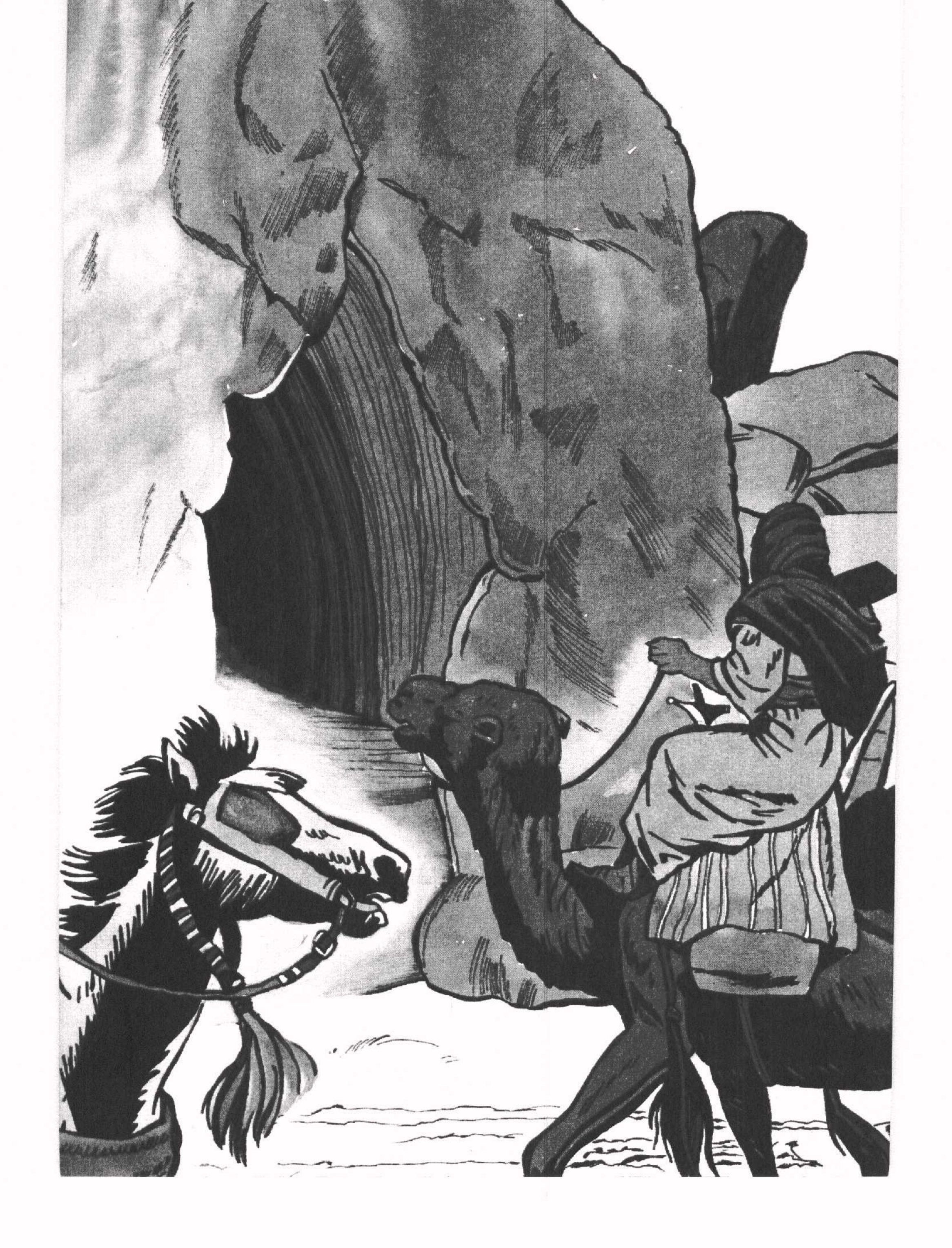
بَينمَا كَانَ سُليـمانُ وجنُودُهُ يَسيرُونَ فِى الصَّـحراءِ، إذْ عَطِشَ القَوْمُ عَطشًا شَدِيدًا، وتَعِبُوا تعـبًا عَظِيمًا، ووَجَدُوا مغَارةً كَبِيـرةً، فسأَلَ سُليمانُ مَنْ حَولَهُ عَمَّا إذَا كَانَ هُنَاكَ مَاءٌ قَـرِيبٌ أَمْ لا؟ لِيضمَنَ أنَّ الإقَامَةَ فِى تلكَ المغَـارةِ ستَكونُ مُـرِيحةً، فَـقِيلَ لَهُ: لا عِـلْمَ لَنَا بِذلكَ. ودهِشَ سُليمَـانُ فقَالَ: كَـيفَ ذَلكَ يَا أهْلَ الإنسِ وَالجنِّ والطُّيورِ والحيوَانَـاتِ، فقَالُوا لَهُ: العِلمُ عِندَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

وكَانَ الهُدهُدُ هُوَ الوَحِيدُ الَّذِى أَعطَاهُ اللهُ القُدرةَ عَلَى مَعرِفَةِ أَينَ يَقَعُ الماءُ فِى أَىِّ مَكَانٍ.

وطَلَبَ سُليمَـانُ الهُدهدَ فَلمْ يَجِـدْهُ، فغَضِبَ عَليـهِ غَضبًـا شَدِيدًا، وَأقسمَ لئِنْ رآه لَـيذْبَحنَّهُ، أَو لَيعـذِّبَنَّهُ عَذابًا أليـمًا أَو لَيأتِيـنَّهُ بعذْرٍ وَاضِحٍ لتغَيُّبِه.

وكَانَ الهُدهدُ قَد قَامَ برِحْلةٍ - بِأمرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ - فطَارَ إِلَى اليَمنِ، فاطَّلعَ عَلَى أحـوالِ قَومِ سَبأ، فَـوجَدَهُمْ يَعبـدُونَ الشَّمسَ مِنْ دُونِ اللهِ. وكَانتْ تَحكُمُهُمْ مَلَكَةٌ تُسمَّى بلقيسَ، وعَادَ الهُدهُدُ مِنْ رحلتهِ، وعَلِمَ أنَّ





سُليمَانَ يسْأَلُ عَنْهُ، فمكثَ غيرَ بَعـيد يُحاورُ سُليمَانَ، وسُليمَانُ يُحاورُهُ، وقَالَ الهُدهدُ: لَقدْ عَرفتُ شيْئًا لَمْ تَعـرِفْهُ أنتَ، ولَقدْ جئتُكَ مِنْ سَبأ بنَبأ يَقينٍ، لَقدْ كُنتُ فِى اليَـمَنِ، وهُناكَ وجَدْتُ قومًا وثنيِّينَ يَعـبدُونَ الشَّمْسَ مِنْ دون الله، ولملكَتهم عَـرشٌ عَظيمٌ فيه كَثيـرٌ مِنْ أنواعِ الزِّينَةِ والجواهِرِ، وكُلُّ شعْبهَا يَسمَعُ كَلامهَا ويُطيعُ أوامِرهَا.

أَصابتْ سُليمَانَ الدَّهشَةُ، إذْ كيفَ يَكونُ هُناكَ مَنْ يعْبُدُ غيرَ الله وَهوَ مَوجُـودٌ، وكَانَ يَظنُّ أنهُ قَدْ نَشرَ عِـبادةَ الله فِى مُخـتلفِ أنحاءِ الأرضِ، فكَتَبَ خطابًا، وسلَّمَـهُ للهُدهُدِ، لِكىْ يُوصِّلَهُ إلَى تِلكَ المَلكَـةِ: بُلقيسَ، وطَارَ الهُدهدُ إلَى هُناكَ، وأَلقَى الخطَابَ عَلَى كُرسِى عَرشِ الملكَةِ، فَاجأَهَا وُجودُ الخطَابِ عَلَى كُرسيِّهَا، فمدَّتْ يَدهَا إليهِ، وَفضَّتْهُ وقرأَتْ مَا فِيهِ:

﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١].

وَهُنَا تعْطِينَا مَلـكَةُ سَبـأ مثـالاً للشُّـورَى، فَلمْ تَسـتبـدَّ بالرَّأى، بَلْ جَمعَتْ رجَالَ دَولتهَـا وكبارَ قَوْمهَا، وأَهلَ مَشُورَتهَـا، وَأعلمتْهُمْ بالرِّسالةِ الَّتى جَاءتهَا مِنْ سُليمَانَ. وَأَخذتْهمُ الحمَاسَةُ ونَخوةُ الدِّفاعِ عَن مَملكتِهمْ، فَقَالُوا:

يَاملِكَتَنَا.. إنَّ قُـوتَنَا عَظِيمَـةٌ، وَإنَّ بأسَنَا لشَديدٌ، ولكـنَّ الأَمرَ لَكِ أنتِ، فَانظرِى مَاذا تأمُرِينَ.



وكانتْ بلقيسُ ذاتَ عقلٍ وفطْنة، فلمْ يملكْهَا الغرورُ بقُوَّةِ رجالهَا، ولا بكثْرةِ جُنودهَا وشدَّة بَأسهمْ، فقالت: إنَّ الملُوكَ إذا دخلُوا مدينةً دمَّروهَا، واتخذُوا أهلَها عبيدًا، فلْنرسلْ إلَى سُليمانَ هدية فإنْ قبلها كَانَ ملكًا منْ مُلوكِ الدُّنيَا وحاربناهُ، وإنْ رفضهَا كَانَ نبيًّا مرسلاً، ولا بدّ منْ معرفةِ الأمرِ علَى اليَقين.

وأرسلتْ بلقيسُ هَديةً ثَمينةً إلَى سُليمَانَ عَليهِ السَّلامُ مَعَ جُندٍ لَهَا، وأوصتهُمْ بأنْ يُحاولُوا التَّعرُّفَ عَلَى أحوالِ هَذا الملكِ لتكُونَ عَلى بيِّنةٍ منْ أمرهَا.

وجاءتِ الرُّسلُ بالهديَّةِ إلَى سُليمَانَ عَليهِ السَّلامُ، ولكنَّهُ لَم يقبلْهَا وأعادَهَا إليهمْ قَائلاً:

لَقدْ أعطَانَا اللهُ منَ الخيراتِ الكَثيرَةِ الوَفيرَةِ مَا لَمْ يُعطِ أحدًا منَ النَّاسِ، ارْجعُوا بَهديَّتكمْ إلَى مَلكتِكُمْ، لعَلَّكمْ تفرحُونَ بهَذهِ الجَواهِرِ الثَّمينة، أمَّا أنَا فَلِى شأنٌ آخَرُ.

ثُمَّ توعَّدَ الرسُلَ، وهَدَّدهمْ، وهوَ يَعرفُ أنهُم سَينقلُونَ هَذَا التهْديدَ إلَى مَلكتهمْ، فقَالَ: إنِّى سَأرسلُ إليْكمْ جُنودًا لاَ قبلَ لَكمْ بهَا، وستندَمونَ، وستكُونُ عَاقبةُ أمركمْ وَخيمَةً، وَهِىَ إخرَاجُكمْ مِنْ بلادِكمْ أذلاءَ صَاغرِينَ.

وَعادَ الرسُلُ إلى اليَـمن، وَقصُّوا عَلَى مَـلكتهمْ بلقَيْسَ مَـا حَدَث، فأشفـقَتْ عَلَى قومهَا وشـعْبهَا، ولَمْ يتـملَّكهَا العنادُ والتَّحـدِّى، فقَرَّرتْ الذَّهابَ إلَى سُليمَانَ مَعَ رجَال دَولتهَا.

خَرجَتْ بلقَيسُ منْ سبأ منَ اليمَن، قَاصدَةً عاصمَةَ مُلك سُليمانَ فى بيت المقدس، وعَـلمَ سُليمانُ عَليه السَّلامُ بذَلكَ، فطَلب ممـنْ حولَهُ من الإنس والجنِّ، قَائلاً: منْ مـنكُمْ يَأتينى بعرْشِ بلقَيـس قَبلَ أنْ تصلَ إلَى هُنا؟

فقَـال لَهُ عفـريتٌ منَ الجنِّ، أَنا آتيكَ بِهِ قَـبلَ أن تَقومَ منَ مـقَامكَ هذَا.

وكَـانَ سليمَـانُ عَليـه السَّلامُ يجْلسُ ليـحْكمَ بينَ النَّاسِ، ويَقـضى بَينهُمْ، ويَحلَّ مشَاكلَهمْ لمدة طَويلة منَ الوقت كُلَّ يوم.

فنظَر سليمَانُ حوْلَهُ، وقَالَ:

مَن منكُم يَأتينى به قَبلَ ذلكَ الوَقت؟

فَقَـالَ شَخصٌ مـنَ الإنس عندَهُ علمٌ منَ الكتَاب، وَيقـينٌ منَ الله؛ لأنهُ يعرفُ اسْمَ الله الأَعظم الَّذى إذَا دُعىَ به أجَابَ. قَالَ:

أنا آتيكَ بعـرْشِ بلقَـيسَ قَـبْلَ أنْ يـرتَدَّ إليْكَ طَرفُكَ، أىْ قَـبلَ أَنْ تُغمضَ عَينكَ وتفتَحَهَا.

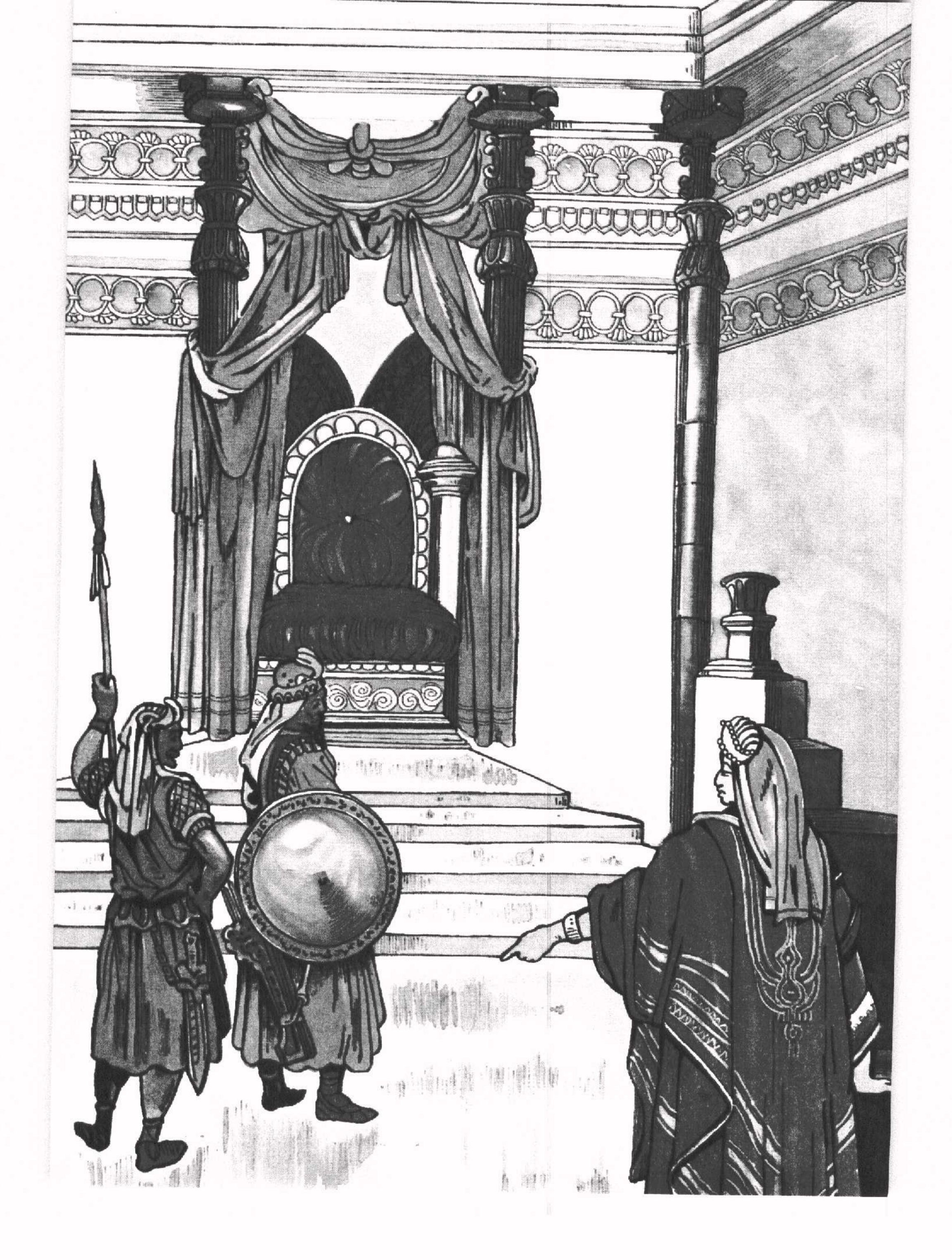
وكَانتْ آيةً منْ آيات الله الوَاضـحَة، أَنْ ينظُرَ سُليمَـانُ فيجـدَ عَرش بلقيسَ أمَامهُ، بقُدرة الله عَزَّ وجَلَّ، وَهذَا دَرسٌ فى ضَرورة الإيمَان بقدْرة الله العَلية. إذْ يعْطى اللهُ المؤمنَ قُـدرةً تفوقُ قُدرةَ أىِّ مَـخلوق آخرَ، ولو

كَانَ عفريتًا مِنَ الجنِّ، ودلالَةَ عَلَى أَنَّ اللهَ قادرٌ عَلَى تحقيقِ رغبةِ المؤمنينَ في الحالِ. . وهَذه آيةٌ منْ آياتِ اللهِ لسُليمانَ عَليه السَّلامُ، أجْراهَا عَلَى يد عَبدٍ صَالحٍ تَقيٍّ مُؤمنٍ.

وأمرَ سُليمانُ الجنَّ فشيَّدُوا لَهُ صرحًا عَظيمًا، وغُطِّيتْ أرضيَّتُهُ بالزُّجاجِ ووُضعَ في آخره عَرشُ بلقيس.

وجَاءتْ بلقيسُ، ودخلتْ عَلَى نبيِّ اللهِ سُليمَانَ عَليه السَّلامُ، وَأشارَ سُليمَانُ إِلَى العَرشِ، وسَألهَا: أهكَذا عَرشُكِ؟ قَالت في دَهشة: كَأنه هُوَ!! ودَخلتْ لتَراهُ، لكيْ تتأكَّدَ منْ أنهُ هُوَ عَرشُهَا حَقيقَةً أَمْ لا. فشاهَدت الأرضَ الزُّجاجيَّةَ وكَأنهَا مَاءٌ يتموَّجُ، فكشَفتْ عَن سَاقيْهَا حَتَّى لا تبتلَّ مَلابسُهَا بالماء، فَلمَّا تبيَّنَ لَهَا الأَمرُ، ولمْ تجدْ مَاءً تَحتَ قَدميْهَا قَالتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي وَشعْبِي، واشْهَدُ أَنِّي مُؤمنةٌ، وقَدْ أَسلمْتُ مَعَ سُليمانَ للهِ رَبِّ العَالمينَ.

وآمَنتْ بلقَيسُ وجنودُهَا، ورجَالُ دَولتهَا باللهِ الوَاحدِ القَهَّارِ، وبسليمانَ نبيًّا ورَسولا، وعبدُوا اللهَ عَزَّ وجَلَّ، وتركُوا مَا كَانُوا عَليه منْ كُفرٍ وإشرَاكٍ. وبهذَا يقُولُ العقلاءُ ويعُودُونَ إِلَى اللهِ عندَمَا تنْكشفُ لَهُمْ الحقَائقُ، ويَلمسُونَ نعمَ اللهِ، ويُدركُونَ فضْلَهُ عَلَى عِبادِه.



وبإيمان بلقيس وجنودها اكتمل مُلكُ سليمان للأرض كُلِّها، وانتظمت جميعُ الممالك فى عبادة الله عزَّ وجلَّ. ويقالُ أنَّ سُليمان تزوج بلقيس وأنجب منها الأولاد. فكان منها ومنه ذريَّةٌ صالحةٌ، تُعمِّرُ الأرض، وتؤدِّى الشُّكرَ لله ربِّ العالمين الَّذى أنعم عليهم بنعمة الإيمان، وهى أعظمُ نعمةٍ، يكونُ الإنسانُ بها سعيدًا فى دُنياه، فائزًا فى آخرته.

سليمان فى وادى النمل

يقولُ المفسِّرونَ أنهُ كانَ هُناكَ وادٍ تعيشُ فيه جماعاتٌ كثيرةٌ من النَّملِ، والمعرُوفُ أنَّ النملَ يعيشُ حياةً اجتماعيَّةً مُنظمةً تنظيمًا دقيقًا، تحتَ الأرضِ، فى سراديبَ يحفرُها النَّملُ وينظِّمها ويرتِّبُ فيها شُئونَ معيشَته وكأنهُ كائنٌ عاقلٌ يدركُ ما ينفَعُهُ وما يضُرُّهُ، ويسلُكُ فى حياته بحسبِ هذَا الإدْراكِ، وذلكَ بإلهامٍ منَ الله القادرِ علَى كُلِّ شىءٍ.

وكانَ سُليمانُ وجُنودُهُ يسيرُونَ بينَ الجبالِ فى إحْدَى رحلاتهمْ وغزواتهمْ لتطهيرِ أرضِ الله منَ الشِّرْكِ والكُفرِ، واقتربُوا منْ وادى النَّملِ، وأصبحَ بينَهمْ وبينَهُ خُطواتٌ قليلةٌ، وأصبحُوا يمثِّلونَ خطرًا داهمًا علَى قريةِ النَّملِ، ورأتْ ذلكَ نملةٌ حكيمةٌ، فإذا بها تُنادى بقيَّةَ الجماعاتِ مُحذِّرةً لهمْ منَ الخطرِ الذى يُهدِّدهُمْ، فقالَتْ:

أيُّها النَّملُ، أسرعُوا وادخلُوا مساكنكمْ، قبلْ أن يدهمَكُمْ سُليمانُ وجُنودُهُ، فيقْتلوكُمْ بحوافرِ جيادهمْ وهُمْ لا يشعُرونَ بكمْ، ولا يبالُونَ بهلاككُمْ.



وَذلكَ لأنَّ النملَ مِنَ الكَائنات الدَّقيقَة، الصَّغيرةِ الحجْم جداً، حتَّى أنها تُسَمَّى الـذَّرة، ويضربُ بهَا المثلُ فِى صغَرِ الحـجْم، ومَنْ ضَرْب المثل فِى القرْآن، قَوله تعَالَى: ﴿ **فمن يعْمَلْ مثْقَال ذرَّةٍ خيْرًا يره** ۝ **ومن يعْمل مثْقَال ذرَّةٍ شرًّا يرهُ** ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وَسمعَ سُليمَانُ كَلامَ النَّملة، وكَانتْ إحْدَى مُعجزَات سُليمانَ - كَمَا عَرفْنَا - أَنَّ اللهَ عَلَّمهُ مَنطقَ المخلُوقَات كُلهَا، وَهذَا شَىْءٌ لمْ يحْدُثْ لأَىِّ إنسان عَلَى وَجْه الأَرض، فَـتبسَّمَ سُليمَانُ عَليْـه السَّلامُ وَهوُ يضْحَكُ مِنْ قَولهَا، وسَجدَ للهِ شَاكرًا، وهُو يقُولُ:

رَبِّ، إنِّى أشكُر نعـمـتَكَ الَّتى أنعـمتَ علَىَّ، وعلَى وَالدَىَّ، وإنِّى أُعاهـدُكَ يارَبُّ، وأَدعُوكَ أن تُوفِّـقَنِى إلَى العَمَلِ الصَّـالحِ، وأنْ تُدخلَنى برحْمتكَ فِى عبادكَ الصَّالحينَ.

وأمرَ سُليمَـانُ جُنودَهُ، أَنْ يبتعدُوا عَنْ وَادى النَّمـلِ حَتَّى لا يُصابَ سَاكنوهُ بأذَى، وَامتـثَلَ الجُنودُ للأمْر، وَأكملُوا رِحلتَهمْ فِى أمَـان وسَلامة لهمْ ولأمَّـة النَّملِ الَّتى جـعَلَهـا اللهُ مَثـلاً يَنبـغى أن يتعلَّـمَ منهُ البشَـرُ، ويستفيدُوا مِنَ العبرَةِ والموْعظَة بِهِ فِى كَثيرٍ مِنْ شئُون الحيَاة.

مُعجزةٌ عِلميةٌ سُليمَانيّةٌ

قُلنا كَثـيرًا أنَّ اللهَ سُبـحَانَهُ وتعَالَى أعطَى سُليـمَانَ كَثـيرًا مِنَ النّعم الظَّاهرة والبَاطنة، ومنهَا مُعجزَةٌ علمـيَّةٌ بكلِّ المقَاييسِ والموَاصفَات، وبلغة العصْر. فَقدْ أعطَاهُ اللهُ القُدرةَ عَلَى إسَالة عَينِ القطْر، وَالقطْرُ هُوَ النُّحاسُ المذابُ، فكَانتْ لَهُ قـدْرةٌ عِلميَّـةٌ أَن أسَالَ اللهُ لهُ النُّحـاسَ، ليعمَـلَ بهِ مَا

يشاءُ، فكانَ سُليمَـانُ عليه السَّلامُ يَسعَى لبنَاء عمارات ومـصَانعَ عَظيمة، مثلَ الهيْكلِ ومَـا حولْهُ منْ مبان، ثُمَّ بناءُ المَسْجد الأقْـصَى وغيره، وكلهَا أعمَالٌ تحتَاجُ إلَى النُّحاسِ فِي إقامَة المبَـانِي وتَوثيقهَا، فأجْرَى اللهُ تعَالَى لَهْ منْ باطنِ الأرْضِ عينًا منَ النُّحاسِ المذَاب، وأجراهُ اللهُ نحاسًا مذابًا جَاهزًا للعمَلِ مُـباشرةً، يأخُـذهُ العمَّالُ ويستـعْملونَهُ عَلَى الفَور دُونَ حَـاجة إلَى صَهرٍ أوْ مُعالجة، كَمَا يَفعَلُ النَّاسُ مَعَ هذَا المعدن وأمثاله.

وَبذلكَ يكُونُ لسليـمَـانَ الفضْلُ فِي مَـعرفَـة النَّاسِ لصَـهْرِ الحَـديد وغيـره، وكانتْ هَذه هدايَةٌ كُبرَى منَ اللهِ لسُـليمَانَ، ونعمَـةً عليه، وعلَى البشَرية كُلِّها بعدَ ذَلكَ.

قبسٌ منْ حكمةِ سُليمانَ

عَلمنَا أنَّ أعظمَ نـعمَـة أنعَمَ اللهُ بهَـا عَلَى سُليـمَـانَ هيَ الحكْمَـةُ، والحكْمةُ خَـيرٌ كَثـيرٌ، تمتَّعَ بهَا سُليـمَانُ منذُ صغـره، ونَعيشُ لحظَات مَعَ إحْدَى قصصِ الحكْمة هَذه، الَّتي جرَتْ عَلَى لسَان سُليمَانَ عليه السَّلامُ، والَّتي تَدلُّ عَلَى أنَّ اللهَ سُـبحَانَه وتـعَالَى قَدْ وهَبَـهُ ذكاءً خَـارقًا لمْ يهَـبْهُ لإنسَان، ولْنَستَمعْ إلَى حَبيبنَا المصْطفَى مُحمد ﷺ يقصُّ علَينَا هَذه القصَّةَ عَنْ حكمَة سُليـمَانَ. قَالَ عَليه الصَّلاةُ والسَّـلامُ: «كَانت امرأتان مَعـهُمَا ابنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئبُ فَذهبَ بابنِ إحْداهُمَا، فَقَـالتْ لصَاحبتهَا: إنَما ذَهبَ بابنك، وقَـالتِ الأُخْرَى: إنَما ذَهبَ بابـنكَ، فتَـحاكَـمَا إلَى دَاودَ عَليـه السَّلامُ، فَـقَضَى به للكـبْرى، فخـرجَتَـا عَلَى سُليمَـانَ بن دَاودَ عَليهـمَا السَّـلامُ، فأخْـبرتَاهُ، فـقالَ: إيتُونِي بالسِّكين أشُـقُّه بَينهُمَـا، فقَـالتِ الصُّغرَى: لاَ تفعلْ رحمكَ اللهُ، فقالَ:هُو ابنُها، فقضَى به للصُّغْرَى».

مَوتُ سُليمانَ عليهِ السلامُ

آيةٌ أخرى للخلقِ أجمعينَ

كَانَ الجنُّ يزعُمونَ أنَّ لهمُ القُدرةَ عَلَى قِراءةِ الغَيبِ ومعرفته، والعلمِ بما سَوفَ يَكُونُ فِى المستَقبلِ، وأرادَ اللهُ سبحَانَهُ وتعَالَى أنْ يُبطلَ هذَا الزَّعمَ، وجَاءَ ذَلكَ عَنْ طَريقِ حَادث مَوت سُليمَانَ عليه السَّلامُ. إذْ ظَهرتْ فِى ذَلكَ الحادث آيَةٌ سَاطعةٌ عَلَى أن الغَيبَ والمستَقبلَ فِى علمِ اللهِ وَحدَهُ، وأنَّ المستقبلَ بيدِهِ جَلَّ شَأنُهُ، فَلا يعرِفُهُ أحَدٌ سِواهُ.

يَقولُ العُلمَاءُ أنهُ عندَمَا جاءَ وَقتُ مَوتِ سُليمانَ الَّذى لا يعرفُهُ إلا اللهُ وحْدَهُ؛ لأنهُ جَلَّ شأنُهُ هُو القَادرُ الخالقُ المحْيِى المميتُ، أعطَى اللهُ آيَتهُ للنَّاسِ وللجنِّ، ليكونَ لَهمْ فِى ذَلكَ عِظَةٌ وعبْرةٌ. فَلقدْ كَانَ سُليمَانُ يقُومُ ببعضِ أعْماله، مُتَّكئًا عَلَى عَصَاهُ؛ ليخْلُدَ إلى الرَّاحة والتَّفكير بضْعَ لحظات، كعادته وَهوَ جَالسٌ عَلَى كُرسيِّه، وكَانَ الجنُّ مُسخَّرينَ لأعمَالٍ كَبيرةٍ مُرهِقَة، فَأنزلَ اللهُ مَلكَ الموت ليقبضَ رُوحَ نبيِّه سُليمَانَ عَلَى هَذه الحالَة، وتَوفَّى اللهُ سُليمانَ، وَهوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَصَاهُ.

وَظَلَّت الجنُّ تعملُ وتعْملُ، وَهِى تعتَقدُ أنَّ سُليمَانَ عليه السَّلامُ لايَزالُ حَيًّا، وَلكنَّهُ قَدْ أخلَدَ للرَّاحة، فَراحَ فِى غَفْوة وأخذَتْهُ سِنةٌ منَ النَّومِ وَهوَ عَلَى هَذه الحالَة، ومرَّ وَقتٌ طَويلٌ أيامًا أَوْ شُهورًا، والجنُّ لا يَجرءُونَ عَلَى النظَرِ إليه حَتَّى لا يُحترِقُوا، فكانَت تتحَاشَى النظَرَ إليه، وتنفِّذُ مَا قَدْ صَدَرَ منْ أوامرَ سَابقَةٍ للعملِ الَّذِى يَعملُونَهُ.

يقولُ المفسِّرونَ أنَّ سليمانَ عليه السَّلامُ ظلَّ مقبوضًا - أى ميِّتًا - لمدة عام كامل، وهوَ متَّكئٌ علَى العصَا، ولمْ تعرف الجنُّ والشَّياطينُ أنهُ ميِّتٌ، وظلتْ تعملُ عملَها وهىَ ترتجفُ منْ سُليمَانَ خشيةَ أنْ يظُنَّ بها الكَسلَ والإهْمالَ.

وعندمَا أرادَ اللهُ أنْ يُظهرَ مُعجزَتهُ وآيتهُ أرسل بعضَ الحشَراتِ القَارضَةَ الصَّغيرة، فَراحتْ تقْرضُ منْ أسفلِ العصَا، حتَّى قصُرتْ بعضَ الشَّىء، فَاختلَّ توازُنُ سُليمَانَ عليْه السَّلامُ، فَانكفأَ علَى الأرض، ولَمَّا أرادُوا مُساعدَتهُ علَى الجُلوسِ وَجدُوه ميِّتًا. وبذلكَ ظهَرَ للناسِ وللجنِّ والشَّياطينِ، أنهُ لا يعْلمُ الغيبَ إلا اللهُ، ولوْ علمت الجنُّ وفاةَ سُليمَانَ لكفَّتْ نفسَها عَنِ العَملِ الشَّاقِّ، والعذَابِ الأَليمِ.

وَسبحانَ الله، إنَّ الجنَّ لَمْ يعرِفُوا الغيْبَ، ولا يدْرونَ شيئًا عَن المستقبَلِ، بَلْ إنَّهمْ حَتَّى لا يعرفُونَ شَيئًا عَن الحاضرِ الَّذى يَعيشُونَهُ، ولَمْ يَعرفُوا الماضىَ، فَقدْ عَاشُوا فى العَذاب المهينِ لمدَّة عَامٍ كَاملٍ، وسُليمَانُ ميتٌ، وَهمْ يظنُّونَ أنَّهُ حىٌّ، ولو كَانُوا يَعرفُونَ حَتَّى الحاضرَ لاكتشفُوا مَوتَ سُليمَانَ منذُ اللَّحظَة الأُولَى لوفَاته، واستَراحُوا ممَّا كَانُوا فيه منْ عَملٍ شاقٍّ، وانصرفُوا عَنهُ مُطَمئنِّينَ.

ومَاتَ سُليمَانُ عَليه السَّلامُ، وعمرُهُ نَيفٌ وخمْسونَ سنةً، أىْ تعدَّى الخمسينَ عَامًا ولمْ يستكملِ السِّتينَ، بَعدَ أن أمضَى حُكمَه نبيًّا وملكًا، وقدَّمَ فيه للبشريَّة الكَثيرَ والكثيرَ.

قَالَ اللهُ تَعالَى كَاشِفًا لَنا عَن تلكَ المعْجزَةِ والآيَة منْ آياته فى خَلْقه .

﴿ فلمَّا قضينا عليه الْموْت ما دلَّهُم علىٰ موْته إلاَّ دابَّةُ الأرْض تأْكُلُ منسأتهُ فلمَّا خرَّ تبيَّنت الْجنُّ أن لَّوْ كانُوا يعْلمُون الْغيْب ما لبثُوا في الْعذاب الْمُهين ﴿١٤﴾ ﴾

[سبأ] .

رَحمَ اللهُ سليمانَ رحْمةً واسـعَةً، وشكرَ اللهُ آلَ داودَ، فقدْ قَالَ جَلَّ شَأنُهُ : ﴿ اعْملُوا آل داوُود شُكْرًا وقليلٌ مّنْ عبادي الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ] .

وَهكَذَا أيهَا الأصْـدقَاءُ، عندَمَا تَـصدُقُونَ معَ الله يَصـدُقكُمْ، وحينَ تدعُونَهُ منْ قُلوبكمْ دَعـوات خَالصات طَيبَـات صَادقات يستَـجيبُ لكُمْ . فَحينَ دَعاهُ سُليمَانُ عليـه السَّلامُ أن يؤتيَهُ ملكًا لا ينبَغى لأحد منْ بعده، وكَانَ الدُّعــاءُ بإخْلاص لله تَعـالَى، استجَـابَ اللهُ لَهُ ذَلكَ، وأعطَاهُ ملكَ الأرض كُلِّهَا، وملَكَ كُلَّ مَـا فيهَـا منْ جنٍّ وإنسٍ، وَحيـوَانات وَطيُور، وسَخر لَهُ الريَاحَ تَجرى بأمره رُخاءً حَيثُ أصَابَ .

كَمَا تَعلَّمْنَا منْ قِـصَّة سُليمانَ عَليه السَّلامُ، أنهُ لا ينْبـغى أن تخَافوا منْ أىِّ شَىءٍ فى هَذه الدنْيَـا، بَل يكونُ الخـوْفُ منْ مَـقام الله عَـزَّ وجَلَّ فـقَطْ، الَّذى خَلقكمْ وإليه مَـصيـرُكُمْ، وَهوَ وحـدَهُ القَادرُ عَلَى نفـعكم وضرِّكمْ، وهوَ الَّذى بَيده الأمْـرُ وحدَهُ، وتأمَّلُوا قَولَ الله تعَالَى مُـخاطبًا نبيَّهُ محمدًا ﷺ، بقوله فى القرآن الكريم : ﴿ قُل لاَّ أمْلكُ لنفْسي نفْعًا ولا ضرًّا إلاَّ ما شاء اللَّهُ ولوْ كُنتُ أعْلمُ الْغيْب لاسْتكْثرْتُ من الْخيْر وما مسَّني السُّوءُ ﴾

[الأعراف : ١٨٨] .

فَالمؤمنُ لا يخَافُ مِنْ جنٍّ وَلا إنسٍ، فَالجنُّ يعـيشُونَ بيننَا، ولكنَّهمْ يأْوُونَ إلَى الأمَاكنِ الخرِبَة كَدورات المِيَاه مثلاً، ولذلكَ يعلمُنَا النَّبىُّ ﷺ أَنْ نستَعيذَ بالله منْهَـا عندَ دُخول الحمَّام فنقُولَ: «**اللَّهمَّ إنِّى أعـوذُ بكَ من الخُبث والخَبائث**» والخُبُثُ هُمْ ذُكورُ الشَّياطينِ، والخَبائثُ إناثُهَا، وبِهذه الاسْتعاذَة يُجنِّبنَا اللهُ أذَى الشَّيطان ويُبعدُهُ عنَّا، فَـلاَ يَرى عَوراتنَا، كَمَا أنهُ يَجبُ ألا نَتحـدَّثَ فى دَورات المِيَاه، ولا نذكرَ اللهَ فِيـهَا لأنهَا بُيوتُ الشَّـياطِين فِى الأرْضِ.

وَيَجبُ عَلينَا أَن نتوكَّل عَلَى الله فِى كُلِّ أمورنَا، ونقدِّرهُ حَقَّ قَدره، لأنَّ الأمْـرَ كُلَّهُ أَولاً وآخـرًا بيده وَحـدَهُ، جَلَّ شَـأنُهُ، لاَ شَـريكَ لَهُ، لَهُ الحكْمُ، وإليه تَصيرُ الأُمورُ.

فَالإيمَانُ بالله عَزَّ وجَلَّ، مِنْ أعظمِ النِّعمِ عَلَى الإنسَانِ، وَالإخْلاصُ لَه تعَالَى، يُحقِّـقُ للإنسَان السَّعَـادَةَ فِى دُنياهُ، والفوزَ والفَلاحَ فِى أُخراهُ، مصداقًا لقوله جَلَّ شأْنه: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].